إنسان السايبورغ بين الذات والخطاب
قراءة في روايتي العلموي لمرتضى كزار وطشاري لإنعام كجه جي

م.د رنا فرمان محمد الربيعي

كلية الآداب / جامعة القادسية

rana.mohammed@qu.edu.iq

ranafrman666@gmail.com

تاريخ أستلام البحث : ٢٠٢٠/٧/١

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٠/٨/١٠

الملخص

تهدف الدراسة إلى الوقوف عند مفهوم "إنسان السايبورغ" ؛ الذات المعاصرة من ناحية ارتباطها بالتطور التكنولوجي الذي شهده العالم منذ نهايات القرن العشرين، وتغيُّر الخطابات بأشكالها المختلفة تزامناً مع تغيرٌ المنظومة الفكرية بأكملها؛ واقعاً أنتج تغيّرات اجتماعية، انعكست بدورها على الذات، ومن ثمَّ تحديد أنماطها، فكان على عاتق البحث الوقوف عند الأسس الفلسفية لمفهوم "إنسان السايبورغ" القائمة على أفكار كل من؛ "ميشيل فوكو" من ناحية الذات المسبوقة بالبنى الخطابية، و"جاك دريدا" من ناحية مفهوم "الاختلاف" عنده، فيركز البحث على فكرة بزوغ إنسان بوعي جديد في المجتمع؛ تمكَّنت "دونا هاراوي" من إدخال مصطلحه إلى حقل الأدب والثقافة، فضلاً عن التحليلات التي قام بها أستاذ السينما "آر.إل. روتسكاي" لما أسماه "جماليات الثقافة التكنولوجية" فكان البحث معالجة فنية لشخصية "إنسان السايبورغ" في الأدب الروائي؛ أشكال ظهوره في بنية الشخصية داخل النص، وماهيته، ومدى تأثير هذا النوع الإنساني في نوازع الشخصية الروائية أو نمط تفكيرها، فليس الأدب سوى تأملات في منفى أرواحنا، المنفى الذي يزداد يباباً مع تطور وهيمنة التكنولوجيا .

كلمات مفتاحية : السايبورغ ، هيمنة المعلوماتية ، الاختلاف

Cyborg human between self and discourse

Reading In novels "The Scientist" by Murtaza Kazar and Tashari" by Anam kajah ji"

Dr. Rana Frman Mohammed

College of Art – University of Al-Qadisiyah

rana.mohammed@qu.edu.iq

ranafrman666@gmail.com

Date received: 1/7/2020
Acceptance date: 10/8/2020

Abstract

Summary The study aims to address the concept of "cyborg human". The contemporary self in terms of its connection with the technological development that the world has witnessed since the end of the twentieth century, and the change of discourses in their various forms coinciding with the change of the entire intellectual system; A reality that produced social changes, which in turn were reflected in the self, and then determine its patterns. Therefore, the research had to stand at the philosophical foundations of the concept of "cyborg man" based on the ideas of each of: "Michel Foucault" in terms of the subject preceded by discursive structures, and "Jacques Derrida" in terms of his concept of "difference". The research focuses on the idea of the emergence of a person with a new consciousness in society; Donna Haraway was able to introduce his term into the field of literature and culture, as well as the analyzes made by cinema professor RL Rutsky.

For what he called "the aesthetics of technological culture," the research was an artistic treatment of the "cyborg person" in fictional literature; The forms of his appearance in the structure of the personality within the text, what it is, and the extent of the influence of this human type on the impulses of the fictional character or its mode of thinking. Literature is nothing but reflections on the exile of our souls, the exile that increases in intensity with the development and dominance of technology.

Keywords : Cyborg ، Informatics dominance ، the difference

مقدمة

مع التغيُّرات الفكرية التي تشهدها الأمم على مرِّ العصور تتغيَّر الخطابات بمختلف أشكالها، ممَّا ينتج تغيُّرات اجتماعية أيضاً؛ تنعكس بدورها على "الذات"، ومن ثمَّ تحديد أنماطها، بل ربما نجد أنفسنا أمام منعطف ثقافي كبير كالذي يحدث اليوم، ففي خضم المقولات التي أخذت تعلن نهايات ما بعد الحداثة، وحملت يافطات الوقوف عند أعتاب مرحلة جديدة عرفت بمرحلة "بعد ما بعد الحداثة"، تسارعت بالظهور نبوءات الفلاسفة وشغلت أفق ما بعد الحداثة حول متغيرات الحقبة الفكرية القادمة، وشكل الإنسان فيها، و(مع انعطافة البشرية نحو الألفية الثالثة منذ عقد أو يزيد، لم يعد الإنسان هو الإنسان الذي عرفته البشرية، وأنهكته الفلسفة بحثاً وتحديداً وتأويلاً، لقد ترافقت الانعطافة بتطوّرٍ مهولٍ في القدرات البشرية لم يكن ليتم إلَّا بفضل اندماج التطور التكنولوجي الهائل مع القدرات البشرية، لينتج ما بات يُعرَف بما بعد الإنسان posthuman)[١] وقد وضعت "دونا هاراوي" في ظل أفق ما بعد الحداثة سيناريوهات عن إنسان التكنولوجيا القادم، في محاولة بلورة شخصية(إنسان الألفية الثالثة؛ هو ذلك الذي أطلقت عليه دونا هاراوي مصطلح "السايبورغ cyborg" في إعلانها الصادر عام ١٩٨٩، الذي يحمل اسم "إعلان السايبورغ")[٢] وعلى الرغم من أنَّ بيان إعلانه حقق صدى واسعاً في تلك المرحلة، إلَّا أنَّ الصدى الفعلي للمفهوم لم يتحقق إلَّا في عام ٢٠١٦ حيث عُقِدَ مؤتمر خاص للتعريف به، ولأن مرحلة ما بعد الألفية الثالثة تعد مرحلة التجلِّي الفعلي لإنسان "السايبورغ": الذات المعاصرة وليدة التكنولوجيا .

لم تكن "دونا هاراوي" من نحت المصطلح، إنَّما(يعود مصطلح السايبورغ إلى الستينيات من القرن الماضي حين نحته "مانفريد كلاينز" و"ناثان كلين" للإشارة إلى الإنسان المُحسَّن أو المُطوَّر الذي يمكنه العيش في بيئة أبعد من حدود الأرض، ولكن هاراوي هي التي أدخلته إلى عالم الأدب والثقافة)[٣]، فمن هو الإنسان المُحسَّن أو المُطوَّر، الذي أعلنت عنه هاراوي في بيانها بوصفه إليغوريا، أو مجازاً، أو استعارة وجودية عن الإنسان المعاصر، وربطت بينه وبين مفاهيم النسوية في خضم محاولاتها وضع ما تعدُّه "سياسات" جديدة في هذا المجال قائمة على ما أسمته بالمعرفة الموضوعية أو المعرفة من موضع؛ التي فكَّكت إطار الفلسفات المُحَدِّد لمعنى الإنسان وفق معيار العقلانية والتفكير، بوصفه معياراً مقيِّداً لمَنْ يكون إنساناً ومتفوقاً وغيره "آخرَ" ومن ثمَّ مقصيَّاً، في محاولةِ فتح أفق المفهوم .

سنحاول على غرار ذلك أن نفتش في مرآة الأدب عن الإنسان المعاصر، الذي تقدِّمه التكنولوجيا بوعيٍ وأخلاقياتٍ جديدةٍ، فكان الأدب الروائي ضالتنا المنشودة في ذلك بوصفه النوع الأدبي الذي يحفر في البنى الاجتماعية مستمدَّاً عناصره منها، ويسعى إلى بناء شخصياته من متخيَّلٍ شكَّلته البنى الفكرية للمحيط العام .

١. السايبورغ

تُعرِّف "دونا هاراوي" السايبورغ في مستهلِّ إعلانها بأنَّه(كائن سايبرنيتيكي "معرفي" هجين من الآلة والكائن الحي، مخلوق من الواقع الاجتماعي ومن الخيال أيضاً، فالواقع الاجتماعي هو العلاقات الاجتماعية المعاشة وهياكلنا السياسية الأكثر أهمية، كما أنه خيال العالم المتغيِّر)[٤]، يبدو من هذا التعريف أن هاراوي تتحدَّث عن ذات مختَلَطة بوصفها بنيةً ناتجةً عن عمليات معقَّدة؛ من التنشئة الاجتماعية غير المنفصلة عن خطابات السلطة بأشكالها المختلفة، فضلاً عن خيال العالم أي ما بلغته التكنولوجيا من تطورات هيمنت على تفاصيل الحياة والذات الإنسانية إلى حدِّ التداخل الكلِّي؛ سواء على المستوى

الفكري منها أم المادي، فالسايبورغ هو نموذج الذات المعاصرة؛ نتاج تطوُّر المجتمع الصناعي، بفعل انفجار التكنولوجيا وهيمنتها ومن ثمَّ تأسيسها عالماً ضمن سمات محددة وفقاً للسياق المتغيِّر خاصَّتها؛(هكذا فإنَّ تكنولوجيا المعلومات وفكرة التكنولوجيا العالية قد خلقتا معاً عالماً هجيناً اكتسبت فيه الميوعة والشفافية التي لا تعرف الحدود، مناعةً ضد البنى الثابتة، لقد فككت ما بعد الحداثة وأعادت تركيب كل مبدأ عندما قدَّمته في سياقات متغيِّرة وجديدة وبذلك ذابت الأسس الثابتة للأفكار في حقائق عائمة ومُنتَهِكة لكل الحدود، في عالمٍ افتراضيٍّ)[٥]وعلى وفق ذلك تغيرت فيه ذواتنا وأُعيد تشكيل وعينا، وقيمنا، ومعاييرنا الأخلاقية، ومن ثمَّ أسلوب حياتنا أي منظومتنا الفكرية بأكملها(هذه الحقيقة، التي بنيت من التخيُّل والتكنولوجيا معاً، هي التي حوَّلت الإنسان إلى ما بعد الإنسان، من خلال توجيهه حسب عملياته/ ونموذجه الخاص، يحدث هذا التوجيه في بيئة مُنتجة يتداخل فيها الزمان والمكان، إنَّها بيئة التكنولوجيا حيث الزمان/المكان في تحوُّلٍ دائمٍ، وإعادة تنظيم مستمر، والواقع الافتراضي هو واقع السايبورغ الدائم التحوُّل والتغيُّر، من خلال التفاعل المتواصل، هذا التحوّل هو أساس سياسات وجماليات السايبورغ في عصر الألفية الثالثة)[٦] انعطافة فكرية كبيرة بحق على جميع المستويات، لذلك لا يرى "ألآن كيربي"(بأنَّ الأمر مجرد تحوُّل في موضة الثقافة، بل انَّ السياقات التي باتت تحدِّد السلطة، والمعرفة، والأنانية، والواقع، والزمن قد تبدَّلت فجأة، وإلى الأبد)[٧] ولا يخفى ذلك التبدُّل على سبيل المثال في أدوات السلطة، سواء في حروبها كما في قتال عصابات "داعش" في معارك "الموصل" حيث كان أهم أدواتها؛ قطع شبكة الاتصال "الإنترنت Internet" في مناطق القتال الساخنة، من أجل شل تحركاتهم من ثمَّ إنهاك قدرتهم القتالية، أم في استعمال الأسلوب نفسه أداةً للقمع، كما حدث مع المتظاهرين في حركات الاحتجاج الأخيرة المسماة جماهيرياً بـــ"انتفاضة تشرين"، ليس من ناحية كون فضاءات السوشال ميديا وسيلة تواصل تُبَثُّ عن طريقها روح الحماس والدعوة للحراك الجماهيري فحسب، ولكن من ناحية طبيعة عوالمها الانسيابية على المستوى التداولي، المنفتحة، والمقوِّضة للتراتبيات، والحدود، والطبقية عامة –الاجتماعية أم السياسية وغيرها– التي انتجت إنسان السايبورغ بتلك الطبيعة والوعي، لذلك سمِّي شباب التظاهرة بـــ"جيل الببجي"[٨] بالنظر للروح القتالية التي تثيرها تلك اللعبة، مما دفعهم لإسقاط سايبورغيتهم على أرض الواقع، وقد عبَّروا عنها بطريقة طريفة كما يظهر في الصورة التي تحتوي مشهداً من ساحات الاعتصام :

مرحلة تبدُّل شامل؛ تشبه إلى حدٍّ ما مرحلة بدايات الحداثة، وما رافقها بعد ذلك من تطوُّراتٍ جذريةٍ شهدها المجتمع، إذ إن هناك من يرى(أنَّ "العالم الحداثي" مثَّل انفجاراً جذرياً شاملاً، وانحرافاً عمَّا كان سائداً، فكل الأشياء جديدة، لم تكن استمراراً للقديم بل انعطافاً عنه)[٩] ولم يقتصر ذلك الانعطاف بالتأكيد على المستوى الاجتماعي وحياة الأفراد وأنماط التفكير

والسلوك، ولكن على المستوى السياسي أيضاً، فإذا(كان "العالم الحديث" تقويضاً للأسس المؤسساتية التقليدية للكنسية والدولة الملكية، وللإنتاج الحرفي وسماته الإقليمية)[١٠] فإن التغيُّرات التي أحدثها التطور التكنولوجي في المنظومتين الفكرية والثقافية، وما رافقها من تقنيات متطورة للسوشيال ميديا، لا تختلف عن التحوُّل الجذري لمرحلة الحداثة، إلى الحد الذي أسهمت فيه بتشكيل ذات جديدة قادرة على خلخلة بنى المفاهيم السائدة، بوصفها – أي الذات– أحد متغيِّرات التجريب لعصر "ما بعد الإنسان" .

وقد بيَّنت "كاثرين هيلز"، ان هذا المصطلح لا يعني موت الإنسان، لكن بوصفه مفهوماً متطوراً عن السابق، مفهوماً أشمل وأوسع من عقلانية ديكارت، وقدرة فهم العالم الهيدغرية، وغيرها، يندرج ضمنه إنسان السايبورغ؛ الكائن الهجين المخلوق من تزاوج الكائن البيولوجي والآلية السايبرنيتيكية، أو الإنسان ظاهرةً طبيعيةً، بلغت النضج بوصفها نوعاً، عن طريق الانتقاء الطبيعي والتطور الجيني، أي بما يمكن القول عنه كائن تكنولوجي يجمع ثنائية الطبيعي واللاطبيعي، المولود والمصنوع، ويشمل الجانب المصنوع منه؛ المرفقات المادية التي ترافق الإنسان[١١]، وكل ما يندرج ضمن تطويع التقدم العلمي في خدمة الجنس البشري بما فيه ما يسمى تقنيات التعديل الوراثي، إذ(يحفل الطب الحديث بالسايبورغ، والمزاوجة بين الكائن الحي والآلة – حيث يُدرَك كلاً منهما بوصفه أداةً مُرَمَّزةً – حميميةً، وذات سلطة لم تتولد قط في تاريخ النشاط الجنسي)[١٢] وبذلك فإن التقنيات الأساسية كلها –على المستوى المادي– تحوِّل الإنسان سايبورغاً، مثل: جهاز تنظيم ضربات القلب، والقلب الصناعي، وزرع مقوِّم نظم القلب "مزيل الرجفان"، والقوقعة المزروعة في الأذن، لأنَّ هذه الأجهزة تقيس فرق الجهد في الجسم، وتتعامل مع نبضات القلب، وتقدم محفزات كهربائية موظفةً آلية التغذية الراجعة الصناعية للحفاظ على الشخص على قيد الحياة[١٣]، تقنيات تداخلت مع الإنسان، لا يمكنه أن يواصل حياته دونها، فأمَّا أن يعيش سايبورغاً أو يموت .

٢. المعلوماتية وسائل هيمنة

لا شك ان دور الإنسان وفاعليته وحركته ترتبط كلها في علاقة عكسية مع النمو التصاعدي للتكنولوجيا؛ فكلما ازدادت التكنولوجيا تطوراً انحسرت حركة الإنسان أو دوره العضوي في المجتمع ، أما(ونحن نعيش في حركة التحوُّل من مجتمع صناعي عضوي إلى نظام معلوماتي ومتعدد الأشكال)[١٤] فقد تحولَّت بالضرورة كثير من المفاهيم والنظم المادية، الكائنة وفق الهيمنة الهرمية المتعارف عليها، نحو شبكات جديدة أطلقت عليها هاراوي في بيان "السايبورغ" تسمية "المعلوماتية للهيمنة"، فعلى سبيل المثال؛ تحوَّل مفهوم "الكائن الحي" إلى "المكوِّن الحيوي"، والتكاثر إلى "الاستنساخ"، والجنس إلى "الهندسة الوراثية"، والعمل إلى "الروبوتات"، والعقل إلى "الذكاء الاصطناعي"، والحرب العالمية الثانية إلى "حرب النجوم"، والبطريركية الرأسمالية البيضاء إلى "الهيمنة المعلوماتية"[١٥]، أي ان أساليب الهيمنة ما بعد الاستعمارية تحوَّلت من خطابات ثقافية عن التفوق في الوعي والعقلانية والتفكير، إلى تجلِّياتٍ فعليَّة ممثلةً بنُظُم المعلوماتية المتطوِّرة .

أما مفهوم "الجنس" في دخوله حيِّز الهندسة الوراثية فقد تحوَّل من المصطلحات الناشئة عن خصائصها في ما يتعلَّق بموضوعات المكوِّنات البيولوجية، نحو أشكال علمية جديدة؛ مثل التصميم، والحدود، والقيود، ومعدلات التدفق، ومنطق الأنظمة، وتكاليف خفض المعيقات ليصبح التكاثر الجنسي واحداً من مجموعة استراتيجيات التكاثر بتكلفةٍ وفوائدَ تُحَدَّد تبعاً

للنظام البيئي، وبذا تُستبعَد مفاهيم الجنس والدور الجنسي ضمن الإطار العقلاني، بوصفها جوانبَ عضويةً في الموضوعات الطبيعية؛ الكائنات الحية والأسر[١٦]، أي أننا إزاء مفاهيم جديدة لا عقلانية بالمعيار السابق، بوصفها نتاج عالم خاضع لهيمنة المعلوماتية والتطور التكنولوجي .

٣. مرحلة ما بعد الجندرية

من التيارات الفكرية التي شهدت تحوّلاً مفاهيمياً كبيراً في مسيرتها مع بزوغ إنسان السايبورغ هو تيار النسوية، وتحديداً عقب محاولات هاراوي إدخال المفهوم ضمن سياستها الجديدة في دراسات النسوية بوصفه رمزاً جديداً يقوِّض مفهوم "الجندر" أو النوع الثقافي، بما يكشف بدايات وعي إنساني جديد بذاته . فلطالما ارتبطت الآلة بالرجل ثقافياً بما عزز الصورة النمطية الثقافية للمرأة بأنَّها غير كفوءة من الناحية التقنية، إلَّا أنَّ مع انبثاق العصر الرقمي لاحت في الأفق إمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من تمكين النساء وتحويل العلاقة الجندرية، فإذا كانت التكنولوجيا الصناعية تنماز بشخصية بطريركيَّة، فإنَّ التقنيات الرقمية اليوم، القائمة على الدماغ بدلاً من العضلات، والشبكات بدلاً من التسلسل الهرمي، تبشِّر بعلاقة بين المرأة والآلة، إذ أنَّ الإنترنت والفضاء السايبيري يعدُّ ميديا أنثوية، بوصفه يوفِّر الأساس التكنولوجي لشكلٍ جديدٍ من المجتمع، جدير بأن يحمل إمكانية تحرُّر للمرأة؛ من ناحية قدرته على طمس الحدود بين البشر والآلات، وبين الذكور والإناث، وتمكِّن البشر من اختيار هويَّات بديلة وافتراضية[١٧]، وما يصاحب ذلك من تغيرات اجتماعية كبيرة على مستوى الذات، ويمكن فهم ذلك في ضوء تحديد الأسس الفلسفية لمفهوم السايبورغ من ناحية قدرته التقويضية .

الأسس الفلسفية

يعوزنا قبل استئناف الخوض في غمار عوالم إنسان "السايبورغ"، الوقوف أوَّلاً عند الضالَّة الفلسفيَّة، التي وجدها ما بعد الجندريين في أفكار كلٍّ من؛ "ميشيل فوكو" و"جاك دريدا"، إذ إنَّ أطروحة فوكو عن "الذات"، باتت مرتكزاً أساسياً في معظم الدراسات، فهو يرى (أنَّ الذات هي نتاج السلطة، وأنَّها مسبوقة بالبنى الخطابية، التي تشكِّل الذات بوصفها ذات معرفة معينة)[١٨] إذ يرفض فوكو وجود الذات بوصفها جوهراً يتميَّز بالسيادة والكونية أو الاستقلال، ولكن بوصفها شكلاً متغيِّراً ومتحوِّلاً (إنَّ الذات تتشكَّل وتتكوَّن من خلال ممارسات الإخضاع والتحرُّر والحرّية، مثلما هي الحال قديماً، وذلك انطلاقاً من عدد معين من القواعد والأساليب والاتفاقات، التي نجدها في الوسط الثقافي)[١٩] وعلى وفق ذلك تكون ألعاب "الحقيقة" على حدِّ تعبيره ، وخطابات السلطة هي المسؤولة عن تشكيل "الذات" من ناحية موقعها الاجتماعي، فلا يوجد جسد أو "ذات" عند "ميشيل فوكو" قبل السلطة، وهكذا يمكن(فهم الذوات الأنثويَّة والذكوريَّة بوصفها تأثير التراكيب الخطابيَّة، التي تتموضع في حقل علاقات سلطة تاريخياً واجتماعياً...وهكذا فإنَّ الأنوثة قد أُنْتِجَت بطرق متعددةٍ على مرِّ الزمان)[٢٠] انطلاقاً من نقطة الاختلاف الجنسي الطبيعي وما ترتَّب على ذلك من أُطر تصنيف تراتبي اجتماعية .

أما القاعدة الفلسفية الأخرى، التي تَشَكَّل على عاتقها مفهوم إنسان السايبورغ داخل التيار النسوي، فهي ممثلةً في ما عبَّرت عنها "أماني أبو رحمة" بـــ"هدية" دريدا إلى النسوية، في ما يتعلَّق بمفهومه الخاص عن "الاختلاف"، الذي لا يتوقَّف في توضيحه العلاقات بين الجنسين، وبين الجنس والجندر، ولكن توضيح العلاقات بين الذوات، والعلاقات التي تشكِّلها أيضاً، فقد ارتبط مفهوم "الاختلاف" في الثقافة الغربية تاريخياً بالنظام الهرمي القائم على الثنائية؛ كالطبيعة والثقافة، والخير والشر

على سبيل المثال وغيرها من التقابلات الأخرى، إذ غاير دريدا ذلك عبر إثباته أن "الاختلاف" يتجاوز المعارضة، والانقسام أو الازدواجية، ويرى أنَّ مجالات اشتغال الاختلاف لا تقتصر على النصوص، أو المصطلحات، أو المفاهيم فحسب، ولكنَّه منهجيَّة حياة، أو منهجيَّة الكون نفسه، فكل الكيانات، والهُويَّات، والأشياء في خصوصيتها وعموميتها هي آثار الاختلاف، فهو العملية التي تنتج الأشياء، والخزَّان الذي تنضح منه، وهو قلب المادية، والهويَّة، أي أن معنى الأشياء وهويَّتها يكمن في صميم اختلافها، أو تعارضها، فهو جوهر الوجود، وتمايز تحوُّلاته، وسيرورته، أو هو جوهر الهويَّة وتجاوزاتها، وعلى وفق ذلك؛ فإنَّ مركزية "الاختلاف" في فهم العلاقة بين الجنسين عند "جاك دريدا" لا بوصفها علاقة تساوٍ أو تكافؤ أو هويَّة، ولا علاقة معارضة أو ثنائية[٢١]،لكنَّها نمط حياة، وما الاختلاف إلَّا جوهر قائم بذاته، وتميُّز، فقد أخرج دريدا الدراسات النسوية نحو دائرة بحث أوسع، إذ(ولَّد نوعاً جديداً من النسوية، حركة نسوية أبعد من المساواة، وأبعد أيضاً من خطاب حقوق الإنسان، ليست مجرَّد اهتمام بالمساواة في المعاملة في المؤسسات المدنيَّة والقانونيَّة، نسوية في الواقع لم تعد ملتزمةً بأيِّ هدفٍ مسبق، ولكنَّها نسويَّة ملتزمة بتعقيد وتصعيد الاختلاف، وما يرافقه من تمايز، وتفاضل، وسيرورة لا تتوقَّف عن التشكُّل؛ ذلك لأنَّها خارج السيطرة عليها والاحتواء... تحوَّلت من مجرد المطالبة بالمساواة في القرن التاسع عشر، إلى تعظيم وتعزيز/ والاحتفاء بمفهوم الاختلاف، وما يتبعه من آثار في القرن الحادي والعشرين)[٢٢] مفهوم حفَّز نحو البناء والتطوير، وفي الوقت نفسه فكَّك مفهوم "الجندر" وخلخل أسسه، بوصفه مفهوماً نابعاً من فكرة الاختلاف الطبيعي بين الجنسين التي حددها دريدا بأنَّها جوهر الكون . فقدمت "دونا هاراوي" السايبورغ رمزاً لمرحلة ما بعد الجندرية **Postgenderism** بوصفها مرحلة استقصاء طرق التكنولوجيا في تقويض الأدوار الاجتماعية البيولوجية والنفسية للجندر؛ والقول بضرورة تفكيكه – أي الجندر الثنائي القائم على أساس الهيمنة الذكورية والتبعيَّة الأنثويَّة- من أجل التحرُّر، ووصولاً إلى ما يسمى اليوم بـــ"الديمقراطية الراديكالية" بفعل هيمنة التكنولوجيا، وذلك بعدّ "الجندر" قيداً ثقيلاً على الإمكانيات البشرية، وإنه يمكن القضاء عليه عن طريق تطبيقات التكنولوجيا العصبية، والتكنولوجيا الحيويَّة، والتكنولوجيا الإنجابيَّة بوصفها تقنيات تتخطى الجندرة النفسية والجسدية واللاإرادية[٢٣]، وهنا تحديداً تلتقي الأدوات الفلسفية؛ أي أن هيمنة التكنولوجيا بوصفها سلطةً بمفهوم فوكو من ناحية دورها في تشكيل الذات؛ الواعية بالاختلاف الدريدي بوصفه تمايزاً، هي عمليات بلورة ونضج إنسان السايبورغ من ناحية التعالي عن الثنائية الجندرية، إذ إنَّ(السايبورغ هو مخلوق في عالم ما بعد الجندر، ولا علاقة له بالازدواجية الجنسية أو التعايش ما قبل الأوديبي، إنَّه يد عاملة غير مغتربة، ولا علاقة له أيضاً بالإغراءات الأخرى التي تحفِّز على الكمال العضوي، من خلال الاعتماد النهائي على كل قوى الأجزاء لصالح وحدة أعلى)[٢٤] أي انَّه قابل لأن يتشكَّل ضمن وحدات متعددة الأشكال، بما يفسر ما رافق الانفجار التكنولوجي من ظهور كبير للمُخْتَلِف جينياً وجنسانياً، وعلى الرغم من ذلك لم يقطع "جاك دريدا" –في حديثه عن مستقبل الإنسان– بـــ "موت الأسرة"، بل انَّه يقطع بخلودها، لكن من ناحية ظهور مفاهيم جديدة لها(ما لا يمكن أن يحول أو يزول، ما سوف يستمر على امتداد التاريخ، فهو وجود، أو"إمكانية" وجود "تصنيف" يقال له الأسرة، نوع من العلاقة الاجتماعية المنتظمة من حول عملية التكاثر)[٢٥] لأن السايبورغ بحسب هاراوي لا يمتلك قصة "النشأة" في الإدراك الغربي .

إلى هنا لا يعني ذلك إنهاء الصفات الجندرية، أي(لا تدعو ما بعد الجندرية إلى إنهاء جميع الصفات الجندرية أو إلى خنوثة كونية، بل أن تصبح تلك الصفات مسألة اختيار؛ جندر فردي، لن يكون هناك قيود على الأجساد والشخصيات بسبب

الجندر أو الجنس في ما بعد الجندر المستقبلي، ولكن إثراؤها في لوحة متنوعة من التعبير الحر عن الذات)[٢٦] المتجرِّدة في علاقاتها؛ مرحلة ما بعد الجندر، التي تصب في الدائرة الأوسع منها والمقصود بها مرحلة ما بعد الإنسان .

٤. ما بعد الإنسانية

يعبر بها الباحثون في هذا المضمار عن مرحلة تشمل إنسان السايبورغ . أي المرحلة التي يشهد فيها الإنسان بأمِّ عينيه للمرَّة الأولى في التاريخ تطوّره النوعي غير المسبوق؛ تطوراً مصحوباً بالتقدم التكنولوجي الهائل، بوصفها المرحلة التي أدَّت إلى تحطيم كل مبدأ؛ حَكَمَ، وحَدَّد الحالة الإنسانية، ومن ثمَّ إلى تحلُّل المفاهيم كلها على أرضية مائعة أو مُهجَّنة، وهنا يضاف إلى تعريف السايبورغ بأنَّه؛ نظام مفتوح يعمل دون حدود ثابتة بوصفه يسمح بتفاعلات لا نهاية لها، وتحولات مستقبلية يصعب التنبؤ بها[٢٧]، ذلك بالنظر لسياق إنتاجه، لذا يراودنا اليقين اننا إزاء فكر جديد ومنظومة جديدة، لأن فكرة السايبورغ في جوهرها قائمة على: الخروج على فكرة "الثنائية"؛ الفكرة الأساسية الراسخة في الثقافة الغربية، والخروج أيضاً على فكرة الفصل بين الطبيعة والثقافة من ناحية انعدام الحدود والفواصل، إذ تشير هاراوي إلى ذلك في بداية إعلانها (وفي تقاليد العلم والسياسة الغربية – تقاليد الرأسمالية العريقة الذكورية الهيمنة؛ تقاليد التقدُّم؛ تقاليد استغلال الطبيعة بوصفها مورداً لإنتاج الثقافات؛ وتقاليد إنتاج الذات من انعكاسية الآخر– فإن العلاقة بين الكائن الحي والآلة كانت حرباً على الحدود، أما أوتاد هذه الحرب فقد كانت تخوم الإنتاج وإعادة الإنتاج والتخييل)[٢٨]، وهذه الخاصية في إنسان السايبورغ، اي خاصية الانفتاح وتذويب الحدود، تعد الأهم في تشكيل البناء الاجتماعي والثقافي بوصفها تنعكس في عملية انفتاح على الاختلافات داخل المجتمع وبالعكس أيضاً، وبذلك فإنَّها تقوِّض كل التصنيفات الاجتماعية ممثَّلة بـــ؛ الطبقة، والعرق، والنوع الاجتماعي "الجندر" – كما أشرنا– ومن ثمَّ لن يعود هناك وجود لوحدة ثابتة أو تصنيف؛ يعدُّ كل ما هو خارجه آخرَ، فقد انهارت الحدود وأصبح المجتمع السايبورغي عبارة عن عمليات مستمرة من الالتحام والتحوّل اللانهائيين[٢٩]، في مجتمع تتلاشى داخله التراتبيات والقيود .

٥. السايبورغ والكتابة والأدب

يتسع مجال التكنولوجيا في ظل مفهوم "إنسان السايبورغ" إلى جانب التقنيات المادية بمختلف أنواعها، والإنترنت، وغيرها من التقنيات العلميَّة الأخرى، ليشمل كل ما يمنح الإنسان قدرات تواصلية أكثر تطوراً عن طبيعته الأولى، وهنا تضعنا "دونا هاراوي" أمام فعل "الكتابة"، بوصفها آلة الإنتاج الأولى، ومَعْلَم المدنيَّة الأهم، وأساس البناء الحضاري للأُمم(أمَّا الكتابة، والطاقة، والتكنولوجيا، فهم شركاء القصص الغربية القدماء عن أصل المدنية والحضارة، ولكن التصغير– ممثَّلاً في رقائق السليكون– قد غيَّرَ خبرتنا عن الآلة)[٣٠] فعلى وفق ذلك يشمل مجال التكنولوجيا بحسب "أماني أبو رحمة" كل ما ينتج الأعمال الإبداعية أو الفنية أيضاً، التي لا تعد شعبياً ضمن التكنولوجيا، مثل الورقة والقلم، والكلام، واللغة؛ بوصفها تقنيات تمنح الشخص القدرة على التواصل مع الناس في أوقات وأماكن أخرى متزامنة معه أو سابقة له، تحيله شبيهاً بجهاز "الكومبيوتر" الذي يكتسب مهارات أبعد، مع توظيف بروتوكلات الإنترنت للتواصل مع أجهزة أخرى[٣١]، فترى أبو رحمة بأنَّ هاراوي تفترض (أن الكتابة هي تكنولوجيا السايبورغ الشاهقة، إنَّها القفزة الطبيعية، فاللغة هي تكنولوجيا المعلومات الأولى، وتبعاً لذلك فإنَّ البشرية كانت سايبورغية منذ الكلمة الأولى، فالإنسان لم يصبح إنساناً إلَّا حين اكتسب

تكنولوجيا معلوماته الأولى: اللغة، وقوَّض كل الميثولوجيا المرتكزة حول خطيئته الأولى التي تسبَّبت بها براءته وافتقاره إلى تكنولوجيا المعلومة، لقد كان نضاله من أجل اللغة)[٣٢] التي تتشكَّل عن طريقها المعلومة، وتُقدَّم عبرها الخبرة والوعي، في مقابل الحكايات والسرديات والأساطير التي وجد الإنسان نفسه داخلها، فاللغة بحسب "آرنست كاسيرر" هي أداة الإنسان الأولى للعقل، وإن كانت تعكس ميلاً إلى صنع الأسطورة أكثر منه إلى العقلنة والتفكير العقلي، فإنَّها ترميز للفكر، وهي تعرض نمطين مختلفين منه تماماً وهو في الحالتين كلتيهما فكر قوي وإبداعي[٣٣]، ذلك يبرهن (ما تقصده هاراوي هو أن اللغة بحد ذاتها تكنولوجيا معلومات بدئية، وما يجري اليوم هو تطور طبيعي لهذه التكنولوجيا حين اندمجت بآلة تعتمد البرمجة المبنية على حروف ورموز وأرقام)[٣٤]، وقد عالج الحالة السايبورغية من ناحية الفن والجماليات "آر.إل.روتسكاي" محلِّلاً ما أسماه "جماليات الثقافة التكنولوجية" على وفق فكرة؛ أنَّ معنى مفهوم "التكنولوجيا العالية High Techne " يتضمن مفهوم "الفن" أيضاً، ويتبيَّن ذلك عبر تحديده الاختلاف بين الفهم السائد للتكنولوجيا في المراحل السابقة: الحداثة، وما بعد الحداثة، عن مفهوم الثقافة التكنولوجية Technoculture الذي وضعه لتوصيف الحالة المعاصرة في ما يتعلَّق بمصطلح التكنولوجيا العالية، فبحسب روتسكاي ان هذا المصطلح يردم الفجوة بينه وبين الفن، لأنَّ الجذر اليوناني لكلمة تكنولوجي Techne تُترجم إلى فن أو مهارة أو حرفة يدوية، بينما المفهوم الحداثي للتكنولوجيا بوصفها "أداة"، إلى جانب الفكرة التقليدية عن الجماليات اللا–أدواتية، يعمق الفجوة أو الهوَّة بينهما، فعلى وفق ذلك التحليل التحمت التكنولوجيا بالجماليات في عصر الثقافات التكنولوجية لإنسان السايبورغ، وبحسب روتسكاي انَّ مصطلح التكنولوجيا العالية يدرس العلاقات المتحوِّلة في التكنولوجيا والفن والثقافة من بدايات الحداثة حتى الثقافات التكنولوجية المعاصرة[٣٥] حيث ظهور ما يسمى بـــ (الأدب الإلكتروني)، أو (الأدب الرقمي أو التفاعلي)، أو ما سُمِّي بـــ(النص الجديد)، أو(نصوص ما بعد الورق)[٣٦] إذ (يتسم هذا الفن والأدب بجماليات عصر الثقافة التكنولوجية والتكنولوجيا العالية: الحركة، والانفتاح، والتحوُّل، فالنص مبرمج مصحوب بفلاشات معينة للتفاعل مع عمليات القارئ، يتحرك النص استجابة لحركة الماوس الذي يحرِّكه القاريء أو المشاهد الذي يتلاعب بالنص بحيث يمنحه جمالياته المغايرة)[٣٧]، الجماليات التي لا تقتصر على المكتوب فحسب، ولكنَّها تتجلى بطريقة أكثر إبهاراً في المرئي أيضاً، فنجد تقنية "الهولوكرام" وهي (عبارة عن تصوير ثلاثي الأبعاد، يسجِّل الضوء في جسم، ليعطي شكل هذا الجسم ليطفو كمجسَّم ثلاثي الأبعاد، وتتمُّ هذه العملية باستخدام أشعة الليزر)[٣٨]، تقنية استُعمِلت في الأغراض الأمنية بدايةً، ثمَّ انسحبت نحو السينما، حتى بلغت المسرح في لحظةٍ كاد أن يهزم أمامها الموت؛ بوصفها تقنية جمالية تستحضر الأشخاص ضمن صورة متحرِّكة ثلاثية الأبعاد على المسرح الحي، لحظة فنية تتماهى فيها السينما مع المسرح، فتظهر الشخصيات التاريخية، أو الفنية، من حقب سابقة شاخصة أمام المجمهور، وقد دشنته أحد المسارح العربية في إقامة حفل غنائي للمطربة "أم كلثوم". ولسنا هنا بصدد البحث في الجماليات المرئية، أو الأدب الإلكتروني، الذي توجَّهت نحوه الدراسات منذ مدة ليست بالقليلة، لكنَّنا في صدد البحث في إنسان السايبورغ نفسه؛ ماهيَّة هذا النوع الإنساني، ومدى تأثيره في بنية الشخصية، أو نمط تفكيرها، وفق ما يتوفَّر عليه النص الروائي .

٦. الحداثة الزائفة وما وراء الأخلاق

قدَّم "آلان كيربي"* مصطلح "الحداثة الزائفة"، ضمن مشروعه الثقافي في تشخيص ملامح المرحلة المعاصرة، ويقصد بـــها؛ المرحلة التي أنهت "ما بعد الحداثة" إلى الأبد، ذلك بحلول نموذج جديد للسلطة والمعرفة، انتجتهما ماكنة التكنولوجيا الجديدة، والقوى الاجتماعية المعاصرة، وكان الدافع الذي استفز كيربي للتصدي إلى هذا الموضوع؛ انَّ بعض الدراسات النقدية في إحدى الجامعات البريطانية لا زالت تفترض أن "ما بعد الحداثة" معاصرة، إلى جانب أنَّ نماذج دراسات الطلبة من النصوص الروائية لم تكن معاصرة، ومن ثمَّ فإنها تخاطب عالماً ليس موجوداً، آخذاً بالاعتبار في ذلك التحوُّل الشاسع بين المرحلتين، داعياً إلى التركيز على النصوص المُنتَجة في الخمس سنوات الأخيرة[٣٩]، ذلك ما دعانا إلى رواية "العِلْمَوي" لـــ "مرتضى كزار"، الملفتة في التوظيف الرمزي عن نموذج الإنسان المعاصر؛ بسايبورغيته واندماجه مع التكنولوجيا، من ناحية وعيه الجمعي وأدواته التواصلية الاجتماعية، شخصية "الرجل المرحاض" مجاز عن الحالة الكَلْبيَّة؛ المأخوذة من الفلسفة الكَلْبِيَّة التي اشتهر بها الفيلسوف الكلبي "ديوجين" والتي سنقف عندها لاحقاً، تعبيراً عن تدنِّي المستوى التواصلي لإنسان السايبورغ، لغوياً وثقافياً في المجتمع العراقي، إذ تمَّ بناء الشخصية الروائية في هذا النص وفق ثيمة ثقافية معاصرة تتمثَّل باللحظة التكنولوجية، مآلاً، بعد تعاقب زمني يتَّسم بالعنف، ممثَّلاً بحقب الحروب التي عاشها العراق من ناحية ما تشكِّله في الزمن الروائي من مراحل طفولة وصبا الشخصية، وبذلك فإننا إزاء شخصية هي إفراز مجموعة تحوُّلات بين حقب زمنية متناقضة؛ أنظمة دكتاتورية بحروب عبثية، ثمَّ أنظمة ديمقراطية زائفة، ثم النتيجة؛ شخصية "عباس"، ذات الطابع العِلْموي بدايةً، التي تَمثُل في شكل دور ثيمي، بوصفه اختزالاً للخطاب في نوع الشخصية، أي(تقليص التشكُّل الخطابي في مسار تصوير واحد)[٤٠]، وقد أصبحت في تحولّها الأخير؛ تمثِّل شخصيَّة(المرحلة التي أطلق عليها كيربي الحداثة الزائفة pseudo–modernism جعلت من الفرد شرطاً ضرورياً للإنتاج الثقافي)[٤١] حيث المعلومة السطحية، والجاهزة، والسريعة بين الإنتاج والتلقِّي، إذ يرى كيربي انَّ(مثال الحداثة الزائفة بامتياز هو الانترنت، إذ بوساطة نقرة على الفأرة، يتنقل الفرد بين الصفحات بطريقة لا يمكن أن تتكرَّر من قبل شخص آخر، مبتدعاً مساراً جديداً عبر النتاجات الثقافية، لم يكن من قبله ولن يتكرَّر بعده، ويعد ذلك بالطبع أبعد من مجرد الاندماج مع العملية الثقافية، وأكثر ممَّا قد يوفِّره أدب ما، فضلاً عن أنَّه يمنح الفرد شعوراً – أو ربما خيالاً لا يمكن تجاهله– بالسيطرة والإدارة وتشكيل مشاركته بنفسه)[٤٢] فالنص هنا، يقارب فعل الفرد التواصلي في وسائل التواصل الاجتماعي، نموذج إنسان السايبورغ؛ الذي نلمحه بدايةً، على مستوى بناء الهيكل العام للنص، إذ تقدِّم شخصية العِلموي الناشيء في ما يشبه العائلة غير البايولوجية المكتملة، وذلك بغياب الأم كلياً – فعلى الرغم من أنَّ بعض جماليات الرواية تنتمي إلى الأساليب الفنية بعد الحداثية، وأقصد هنا تقنية ما وراء القص أي؛ الرواية التي تكشف عن أدواتها، حيث يقول الراوي "مدين حيَّاوي" بعد حديثه مع "تيلر فولي" رئيسة تحرير مؤسسة نورث ويست للمنشورات الأدبية، عن صورة شخص اسمه "عباس ربيع" : (اتجه الحديث حول العثور عليه ليس لالتقاط صورة رابعة له بعد ما يقرب من عشر سنوات؛ بل لكتابة قصَّته في كتاب يحمل عنوان عباس ربيع، كعنوان رئيس بلا خطوط ثانوية)[٤٣] ثم يستمر بالقول مُعرِّفاً قبل أن يبدأ السرد الروائي الذي اتخذ الطابع السِيَري: (لم تمر سوى أيام حتى التقيت عباس وكان ما كان من أمر هذا الكتاب السيَري الذي أخذ طابع الكتابة الذاتية لضرورةٍ في نفس عباس، فلقد أظهر امتعاضه من أن تكتب حياته بضمير الهو، لذلك أرجو أن يسترعي ذلك الانتباه والعناية، هذه الرواية لم يكتبها عباس ربيع السنجري المعروف بابن ربيع كثافة، لكنه يتفق مع كل كلمة وردت فيها، وفضلنا أن يكون كتاباً تخيلياً حتى لا نتورَّط في مشاكل قانونية مع الأشخاص الوارد ذكرهم في النص...)[٤٤]– إلَّا أنَّها تحمل من صفات المرحلة السايبورغية؛ من ناحية البناء

الاجتماعي القائل بإمكانية غياب العائلة البايولوجية، إذ لم يكن هناك وجود لها داخل النص على الرغم من أنَّه يحمل طابع السيرة الذاتية للراوي المُفتَرَض "عباس ربيع" منذ أيام طفولته حتى شبابه، فنظام بناء الحبكة الزمني قائم على أسلوب التناوب بين الماضي والحاضر ضمن فقرات سردية؛ مرة عن مرحلة الطفولة وأخرى عن مرحلة الشباب بالتناوب، لم يظهر خلالها سوى شخصية الأب وولديه "فاضل" و"عباس"، وحتى بعد غياب الأب انتقل الولدان للعيش مع "فرونيكا" زوجة مهندس كان يعمل سابقاً في أحد الشركات النفطية، لدرجة يكاد أن يتيقن القارئ من وجود خلل في البناء الأسري للشخصية؛ حتى يأتي حديث الراوي عن الأم ضمن إشارة عابرة وردت في صفحات قليلة في نهاية الرواية: (تزوج ربيع هدى يوم كانت مساعد رئيس حفَّارين، هل تتذكَّر شكلها)[٤٥]، أما الملمح الآخر من الصفات السايبورغية، على مستوى بناء الشخصية، يمكن تحديده عن طريق العتبة النصية الأولى أي العنوان؛ العِلموي "عباس ربيع"(الذي يؤمن بالعلم وحده ولا مساحة في عقله للتخاريف)[٤٦] خريج كلية الهندسة، صاحب البحوث والاختراعات التي يسعى إلى تسويقها بطرق وأساليبَ شتى، يندرج ضمنها خداع الناس، من أجل استحصال المال، فكانت حياته مسرحاً نقدياً للأحداث التي مرَّ بها العراق في المدينة الأكثر تماساً مع الحروب والتقلُّبات؛ مدينة "البصرة"، فنجد شخصية لا تنظر للأشياء إلَّا من منظور علمي بحت يقع – أو يكاد– الجانب الإنساني أسيراً له، يمكن رصده عبر إفصاحه عن فلسفته الأخلاقية في ما يتعلَّق بجانبه الإنساني؛ يقول عن الحب الذي جمعه بـــ"صبرية"[٤٧*]: (المحبة كطاقة مؤكدة تسري بين طرفين غير متوازيين، تؤلم الأول ويلتذُّ بها الثاني، هذه هي علاقتها بي، أمَّا ما يقوله الشعراء والكتَّاب والفلاسفة والعاشقات الموهومات فهو موضوع آخر، موضوع خيالي، ومن جنس الحكايات الخرافية)[٤٨]يبدو "عباس" آلةً تعيد تفكيك المفاهيم كأنَّها هي الأخرى معادلة هندسية!، رؤية غريبة للحب!؛ ذلك الشعور الذي ينتمي لمفهوم "الفعل الإنساني" التواصلي بوصفه (فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات)[٤٩] فلا يتردد العلموي عن انتزاع المشاعر من سياقها الطبيعي التذاوتي، ضمن سلوك ينتمي إلى آليَّة "عزل الوقائع عن القيم"؛ أي ان ما يحدث في الواقع لا ينتمي إلى عالم القيم بمفاهيمها المتعارف عليها، بما يتيح لنا القول: ربما هي عودة لفلسفة "ما وراء –الأخلاقية" . القائلة بعدم إمكانية اختزال القيم إلى مجموعة وقائع، انطلاقاً من الحاجة إلى إثبات الاستقلالية الذاتية لكل تفكير أخلاقي؛ الفكرة السائدة في التوجه الفلسفي الذي ظهر في النصف الأول من القرن العشرين المعروف بـــ"الميتا–أخلاقية"، خلاف ما كان سائداً في بدايات نشوء الفلسفة الأخلاقية[٥٠]، وبذا يمكن تعريف الميتا–أخلاقية بأنَّها الفلسفة(التي تعترف بوجود تمييز منطقي بين الوصف الوقائعي وبين التقييمات المعيارية)[٥١] فنلحظ ذلك عند العلموي حيث إنَّ القيم الأخلاقية لا ترتبط عنده بالوقائع الفعلية التي يعيشها، فعلى الرغم من الارتباط الإنساني بـــينه و"صبرية"، إلَّا أنَّه يقول بعد أن سمع خبر مقتلها من مُبَلِّغ المحكمة: (موعد الجلسة بعد أسبوع ، ليس لدي ما أذاكره أو أحفظه مثلما ليس لديَّ ما أحزن من أجله، لقد فقدت حاسة الشعور بالفقد منذ سنوات، عبارة المجني عليها صبرية، الواردة في التبليغ مرَّت على عقلي دون أن توقظ فيه شيئاً، كان عقلي يبارك مرور الكلمات ويختمها ويبعثها إلى مكانها المعتاد في الذاكرة، عقلي موظف قديم يختم أوراق معاملة روتينية دون أن يترك ردة فعل ما)[٥٢] منطق غريب، وشاحب فعلاً، نابع من وعي تواصلي بطابع تكنولوجي! لذلك يرى معارضو فلسفة "ما وراء الأخلاقية" (من الصعب أن ننكر أن هناك غرابة منطقية، أن نسمع أحدهم يقول: "هذا عمل شجاع ولكن إيَّاك والإقدام عليه"، إلَّا إذا كان ذلك من قبيل التهكُّم، أو أن يقول: "إنَّه أبوه، ولكن ليس من واجبه مساعدته")[٥٣] ومثل ذلك أيضاً، رأي العِلْموي في "الصداقة"، يقول مستذكراً أحداثاً من طفولته، حينما كان جالساً وشقيقه التوأم "فاضل" – الذي مات في تلك مرحلة– في السيارة مع والدهما، وهو يحاول تثبيت موجة إذاعة "مونت كارلو" التي تبثُّ

برنامج "بنك الصداقة" للمذيعة "هيام حموي" القائم على قراءة مراسلات أناس يبحثون عن صلات جديدة وصداقات أوسع، ساخراً من أبيه الذي يبدو كأنَّه يريد أن يعلِّمهما درساً في تحصيل الأخوان وكسب الخلان: (لم أتقن هذا الفن، وما زالت رسائل هؤلاء المستمعين تطن مثل ذبابة محبوسة في طبلة أذني، وكلّما فتحت حساباً في بنك الصداقة اقفلته القروض، وما أفهمه اليوم هو أن بنك الصداقة الجيد هو الذي يمنح بلا فوائد ولا بيانات، كان ينبغي على الآنسة هيام أن تسمي برنامجها كلينكس الصداقة لا بنكها؛ لأنَّها من الأشياء التي نستخدمها مرة واحدة، هذا الاسم لن يربكني على الأقل، فأنا ليس لدي صديق واحد)[٥٤] بنية الشخصية السايبورغية؛ شخصية العلموي تكشف هنا نمط التفكير الأخلاقي، ومن ثمَّ المنظومة الأخلاقية المعاصرة؛ بعد تداخل التكنولوجيا العالية في تشكيلها وانتاجها في المجتمع العراقي، بعد هدم؛ الفواصل والحدود وتذويبها في بوتقة انفتاحية عائمة المفاهيم، هلامية القيم، سيتضح أكثر عبر الأسلوب الغرائبي؛ تعبيراً عن سلبيات السياق التواصلي للمجتمع السايبورغي العراقي ممثلاً برمزية "رجل المرحاض"، وتركيزاً على تحوُّل العلموي مع فضاء التكنولوجيا بوصفه سايبورغاً .

فيعرج "مرتضى كزار" على مقاربة نموذج إنسان السايبورغ العراقي من ناحية السلوك والوعي الجمعي أثر تداخله مع التكنولوجيا والسوشيال ميديا أو مواقع التواصل الاجتماعي، عبر توظيف الأسلوب الذي يمكن تشخيصه بوصفه غرائبياً، ذلك أنَّ التحوُّل في الشخصية إلى "رجل مرحاض" حدث بعد أن شهد العِلْموي تجارب ذاتية واجتماعية[٥٥*]، وضعتنا أمام إمكان التفسير العقلي لما حدث، أي انَّه تحوّل بوصفه حالةً من التداعيات النفسية، والأسلوب الغرائبي أو(الغريب؛ هو ما يرد في نص سردي من أحداث أو ظواهر خارقة يمكن تفسيرها عقلياً)[٥٦]، فخطر له فكرة اختراع خوذة: (ما أخطط له هو صناعة خوذة أمشي بها في الشارع كي أتقي شر الشاب صاحب تيشيرت فالنسيا وشرور أمثاله، بحثت كثيراً عن واقيات الرأس التي يستعملها العمال، فلم اجد، اهتديت إلى بديل وصار البديل عندي أكثر إقناعاً من الأصيل...انتقيت مرحاضاً هو أصغر ما في المجموعة والأخف وزناً)[٥٧]صار فضاء التكنولوجيا بديلاً أكثر اقناع من عالم الواقع؛ الأصيل، "رجل المرحاض" هكذا يقدِّمه النص كما أُطلق عليه بين الناس، شخصية نصفها إنسان ونصفها أداة، فالتكنولوجيا في المجتمع العراقي كشفت عن عيوب الشخصية السايبورغية العراقية، يقول العلموي:(الرجل المرحاض هو المعادل الموضوعي للسوبرمان والبات مان والبيردمان)[٥٨] أو يمكن أن نقول شخصية السوشيال ميديا؛ هي شخصية البطل الوهمي، أو صاحب البطولات الوهمية، التي تنال حظَّها من الشهرة بسرعة، وينشغل بها الناس، فمواقع التواصل بوصفها ماكنة لـــ "صناعة البطل"، والحاضنة الأم لهذا النمط من الشخصية، التي أخذت تطغى أو تكاد على الشخصية الواقعية له، دفعت النص لأن يقف عند سمة "التخفِّي" المتاحة لرواد المواقع، بما يوفّره ذلك الفضاء من شعور بنوع من الحرية العرجاء على سبيل الوصف، التي تجتذب من الفرد أقبح ما لديه فيطفو خارجاً؛ الفظاظة، والنبوّ، والتخفِّي، والتطفُّل، والتطاول، والاستسهال لكلِّ شيء، عبر حديث العلموي واصفاً ردود أفعال الناس إزاء "رجل المرحاض" بما تمثِّل هذه الردود نمط السلوك الجمعي داخل فضاء التكنولوجيا القائم على غزل حقيقة بخيوط الأوهام، وأسلوب صناعة البطل:(عنوان: شاب قرر أن يخفي وجهه في مرحاض بورسلين مطلي بمادة مضادة للرصاص.– شريط أخباري: الإنسان المرحاض يلقي خطابه الأول يوم الجمعة في الساعة السابعة مساءً... برومو برنامج حواري: تعالوا نناقش لماذا ينبغي علينا جميعاً أن نضع قناعاً من البورسلين،– تغريدة مُدوِّن مشهور:انه زمن ما بعد...، والظاهرة البورسلينية الجديدة، في الماضي السحيق قرر الفيلسوف ديوجين أن يصبح كلباً وينبح ويتبوَّل على الجميع، فالنباح أنفع من الحوار مع السفلة أحياناً، وهذا عباس ربيع يتحوَّل إلى تواليت معلناً سخطه على الاحتلال وعلى ما

قبل الاحتلال وما بعده وما بين البين)[٥٩]بوصفه مالكاً ناصية الحقيقة دون غيره مثلما كان ديوجين، وفي إشارة كزار الى شخصية الفيلسوف "ديوجين"، يشخِّص النص هنا حالة اجتماعية سائدة في المجتمع السايبورغي؛ هي حالة الإنسان الساخط، المتذمِّر من كلِّ شيءٍ طوال الوقت، الذي يمكن ان يندرج – من ناحية الدوافع وراء ذلك السلوك – ضمن مظلة الأنا المتضخِّمة، بفعل ما ولدته الحداثة الزائفة من وهم المشاركة الفاعلة، فقد أتاح هذا الفضاء لظهور إنسان "مختبأ" خلف حواجز أثيرية ناقدًا، رافضاً، مكيلاً بأقذع ما يمكن من الفظاظة والنبو، لذلك فإن (الحداثة الزائفة في نظر كيربي ليست أكثر من لحظة ثقافية تلخصها حماقة مستخدم الهاتف المحمول)[٦٠]، فإذا كان الفضاء التكنولوجي يشكِّل فسحة للتواصل والانفتاح على الآخر، فإنه بحواجزه الأثيرية أنتج إنساناً غير آبهٍ بالتفكير الأخلاقي، والقيم الاجتماعية، والحدود بفضائلها المُهمَلة، في علاقاتنا التواصلية، متجرِّداً من اشتراطات النظم والقوانين، ممَّا أدى إلى فوضى اجتماعية أخلاقية تكنولوجية، عبَّر عنها "مرتضى كزار" ضمن بناء الشخصية الثيمية بالظاهرة البورسلينية، التي أدَّت بالنهاية إلى ما يسمى بالحالة "الكلبية"[٦١*] التي ظهرت بوصفها حالةً ملازمةً للشخصية العراقية داخل فضاء السوشيال ميديا: تشاؤماً، ويأساً، وإحباطاً، وتشكيكاً، في أي شيء وكل شيء: سلطة، شخصية، أي جهة ما، فإنَّها موضع شك، وتخوين، وشتم، وسباب، يقول الرجل المرحاض – بعد أن صنَّف الناس حسب نوع أحاديثهم واهتماماتهم– مجيباً من يسأله عن النظريات العلمية جواباً موحداً لكنه لا يرسله إلى أحد، بسبب فقدان الثقة في كل شيء وقيمته ومن ثمَّ جدواه في مجتمع الفوضى: (في النهاية لا أحد يريد تغيير رأيه ولا مراجعة قناعاته، وما نريده هو أن تغيير قناعات الآخرين من أجلنا، نحن آلات متطورة جداً في ما يخص إرضاء أنفسنا واعتناق أي عقيدة تشعرنا بالرضا عن أخطائنا، ثم أذيل جوابي بشتيمة قاذعة، على طريقة الفلاسفة الكلبيين ومزاجهم في استعمال النباح والسباب والتبوّل على أعناق خصومهم؛ كطريقة للتعاطي مع العالم)[٦٢] لأنَّ الكلبي محكوم في نظرته للناس بنظرته لضميره المُغيَّب، أو اليائسة من وجود الخير في المجتمع، فالرجل المرحاض؛ إعلان نصِّي عن خراب الضمائر، وغياب العقلانية، والوعي الاجتماعي في الفضاء البديل/التكنولوجي، فضاء الجهل بفضائل الحدود، ومن ثمَّ استسهال التهجُّم، على كل شيء؛ الأديان، والعقائد، والتقاليد، والخصوصيات الثقافية، فضاء التخوين، والتسقيط عبر إطلاق التهم الجاهزة، والتعليقات الجاهزة، يقول:(تعليق من صفحة سوشيال ميديا معنية بقص ولصق التعليقات المثيرة للاهتمام: أعرف عباس ربيع هذا جيراننا، عبقري بس عقله شوية مو تمام، قتلوا حبيبته ورموها بالشط، عنده اختراعات حلوة مفيدة، لكن للأسف لا أحد يرعى موهبته ويهتم بها، لك الله يا عراق)[٦٣] جملة:(لا أحد يرعى موهبته) الجاهزة، التي تتكرر وفق معايير ذاتية لـــ "الموهبة" و"العبقرية" و"الابداع"، وتعمم انتقالاً سريعاً بالنظر لسمة الميوعة والتحوُّل لإنسان السايبورغ، الذي يتشكَّل وعيه بمرونة فائقة مع المؤثرات، وجملة: (لك الله يا عراق) الجاهزة، التي تختتم بها معظم التعليقات والنقاشات تعبيراً عن التسليم بانعدام الحل، وهم في الحقيقة: (لا يتناقشون في السوشال مديا! يظنون بأنهم يتناقشون ويتواصلون لكنهم على خطأ، انهم يتناحرون ويتطاحنون ويتناطحون ويتفشخرون ويتمضمضون، إن وظيفتهم طمس الحقيقة أو التشويش عليها)[٦٤] فيمكن ان نلتقط من نص "مرتضى كزار" رسائله النقدية للذات المعاصرة ؛ صنيع التكنولوجيا، انسان السايبورغ؛ شخصية فضاء السوشال ميديا بأنماط وعيها المزدوج بالنسبة للواقع، وسلوكها الحشدي وغيرها من الصفات والملامح الأخر.

٧. السايبورغ صانع البدائل

تقدم الروائية "إنعام كجه جي" في رواية "طشَّاري" شخصية السايبورغ في ظل الشتات، الذي عاشه العراقيون إبان الحروب المتعاقبة ونكبات الطائفية، "اسكندر" الفتى الذي هاجر أبواه إلى باريس حينما كان طفلاً لا يعي شيئاً من بلاده الأم، ويمكن أن نقول انه شخصية فاعلة في النص على مستوى البناء الفني الداخلي، من أجل حركة الأحداث وتشكيل الفكرة، لأنَّ الشخصيَّة المركزية على مستوى الحكاية هي شخصية الطبيبة المسيحية العمَّة "وردية"، فالبناء الزمني للنص قائم على التناوب بين الماضي من عمرها وأحداث حياتها الأولى في مدينة "الديوانية، وبين الزمن الحاضر؛ شيخوختها وأحداث التهجير القسري الذي تعرَّضت له وأبناء جلدتها، ومن ثمَّ سفرها إلى فرنسا وهي في العقد الثامن من عمرها .

نشأ "اسكندر" في باريس و(العائلة كلمة لا تعني له سوى شخصين أبيه وأمه)[٦٥] لم يرَ بغداد إلَّا مرَّة واحدة في عمر الثلاث سنوات: (ولم يستعد الطفل توازنه إلَّا بعد أن عاد إلى شقَّتهم الصغيرة في باريس...عاد اسكندر إلى بيته المختصَر المُعلَّق في الطابق الحادي عشر ونسي بيوت بغداد الكبيرة ومجمداتها الملأى بالدجاج والموطا، كبر في باريس، وتطورت أحوالهم، واتسعت شقتهم وصارت له غرفته)[٦٦] فيقدِّم النص على مستوى البناء المكاني؛ تباين ملامح المجتمع السايبورغي عن نمط الحياة في ما قبله، عبر تتبُّع الكاتبة لمراحل تكوُّن الشخصية منذ طفولته، بالنظر لما تلعبه من دور مهم في بلورة الرؤى[٦٧]، ذلك في محاولة ترسيخ وكشف التغاير بين رؤى كل منها داخل النص .

كان حدث حلول عمَّة والدته الدكتورة "ورديَّة" ضيفة عندهم، حدثاً غريباً بالنسبة له، فتعرض عليه العمَّة أن تعلِّمه اللغة العربية، لكنَّه (يقوم ويفتعل أي انشغال إلى غرفته ويجلس أمام الكومبيوتر، حديد رمادي واجم، ذو شاشة مضيئة، صديقه، وأستاذه، وكاتم أسراره، فقد برع في خفاياه واستعمالاته حتى صار حجة بين أقرانه، وحتى مديرة المدرسة تلجأ إليه عندما يتعطَّل جهازها، يشعر بالفخر وهو يحل مشكلتها في دقائق، تشكره بحزم وتتغاضى عن شكوى مدرس التاريخ من كثرة غياباته عن الصف، لا يحب التاريخ ويتوجس منه لأنَّ أباه يستشهد به كثيراً، ويتحمَّس وينفعل ويضرب بيده على الطاولة ويسب حتى تنتفخ شرايينه ويعتل قلبه، التاريخ يحفظ نزاعات البشر فيرفع ضغطهم فيمرضون)[٦٨]لأن شخصية السايبورغ هنا لا تصنف الزمن ضمن حقب معينة وفقاً لأحداث تاريخية، ولكن على وفق معيار التطوُّر التكنولوجي، بوصفها تعيش الحاضر بما تملكه من بديلٍ له؛ فضاء التكنولوجيا، فكيف إذن بالتاريخ.

فالسمات الرئيسة للطبيعة الثقافية في عصر السايبورغ قائمة على؛ عدم الثبات، والتغيُّر، وسرعة الاختفاء من الناحية النصيَّة بأنواعها كافَّة؛ نصوص السي فاكس، اقتباسات الانترنت، وكذلك صعوبة الاحتفاظ بالرسائل النصية، والبريد الالكتروني[٦٩]، فنصوص المرحلة في حركة دؤوب بين الظهور والاختفاء داخل فضاء التكنولوجيا، وبذلك فـ(إنَّ ثقافة ترتكز على هذه الأمور لا تمتلك ذاكرة، وبالتأكيد ليس لها ذلك الإحساس المُرهِق بالثقافات السابقة، الذي شكَّلَ الحداثة وما بعد الحداثة، وبفضل كونها ثقافة زائلة ولا يعاد إنتاجها بسهولة، فإن الحداثة الزائفة تعاني من فقدان الذاكرة: بمعنى أنها أحداث ثقافية في اللحظة الراهنة، بدون إحساس بالماضي أو المستقبل)[٧٠] فشخصية الإنسان السايبورغ هنا؛ آليَّة الرؤية، ولكن على الرغم من نزوعها إلى الصمت – كما في شخصية اسكندر– أكثر منه إلى الصخب أو الحركة، لكن يمكن النظر لهم (بوصفهم ديناميكيين واستقلاليين، ومبتكرين، ومعبرين، ومتمكنين ويمتلكون صوتاً مميزاً وعالياً ومسموعاً)[٧١] من

ناحية التأثير، إذ إنَّ حياة التكنولوجيا محكومة بالهدوء (إنَّ آلاتنا اليوم حيَّة بصورة تثير القلق، ونحن أنفسنا خاملون بشكل مخيف)[٧٢]، تقول الراوية: (حتى التلفزيون عندهم صورة بصوتٍ خفيض، والهاتف الكبير يرن بنداءٍ مبحوحٍ، والهواتف الصغيرة ترتجف في الجيوب، والساعة المنبِّهة تدقُّ ضوئياً، وهو ينام ويتأخر عن المدرسة لأنَّه سهر الليل في تصميم مواقع لأصدقائه على النت، مقابل مبالغ متَّفق عليها، لن تفيده المدرسة في هذا الزمن، ها هو أبوه يجلد نفسه بتعليق شهادة الدكتوراه على حائط المطعم فوق المقلاة العميقة للفلافل، أمَّا أمه التي تؤكد أنَّها كانت شاعرة تنتظرها الشهرة لو بقيت في بغداد)[٧٣] "لن تفيده المدرسة في هذا الزمن، إذ إنَّ فضاء التكنولوجيا ألغى الحدود، والتراتبيات الثقافية، وعلى وفق ذلك (فالإنسان السايبورغي كائن لا يعرف الحدود، ولا التمايزات الطبقية، أو الثقافية، أو العرقية، أو الجندرية، يعيش في فضاء ساسيبيري تلاشت فيه كل عناصر التفاضل، وانفتح العالم على احتمالات بلا نهاية لإعادة تنظيم البنى والعلاقات الاجتماعية)[٧٤] فضلاً عن(انَّ النتاج الثقافي للحداثة الزائفة تافه، ومبتذل بصورة غير مسبوقة، فلو نظرنا مثلاً إلى محتوى الأفلام نجد أنَّها تميل بالمطلق إلى الأفعال أو الأحداث التي تولِّد الحياة أو تنهيها ولا شيء آخر، هذه البدائية الصبيانية في السيناريو، تقف في تناقضٍ صارخٍ مع تطوُّر المؤثِّرات الفنية في السينما المعاصرة)[٧٥] أي انَّ هناك تدني في المستوى الثقافي، في مقابل التطور التكنولوجي، فيذهب كيربي إلى أنَّ (المهيمن في كل المجالات هو الابتذال والسطحية، إنَّ عصر الحداثة الزائفة –على الأقل حتى الآن– ليس سوى صحراء ثقافية قاحلة)[٧٦] لكنَّه مبتكر في المؤثِّرات وإنتاج البدائل بسلاسةٍ لا متناهيةٍ، لذلك حينما سأل "اسكندر" العمَّة إن كانت لا تحب باريس؟! وأجابته بأنَّها تحبها لكنَّها لا تريد أن تُدْفَنَ فيها، بالنظر لعلاقة الإنسان بالمكان عامَّةً، ومكان هويَّته ومنشأ ثقافته خاصةً، الفكرة التي تحوَّلت عند إنسان السايبورغ إلى لعبة بدائل ليس أكثر منها، تقول الراوية: (هو أما محتال أو عبقري، تطلَّعت وردية بعينين مذعورتين إلى ما كان اسكندر يعرضه عليها، وهو يضع شاشة الكومبيوتر أمام عينيها، يقوم ويقعد، مزهواً ومتوتراً، وهو يشركها في أسرار الموقع الجديد الذي صممه بنفسه،– شوفي عمة، مقبرة إلكترونية يمكنك أن تنامي فيها بجوار من تحبين)[٧٧] فتظهر هنا دقَّة بناء الشخصيَّة، عبر تتبّع أنماط الوعي لدى إنسان السايبورغ، التي لم تتوقف عند نظرته للتاريخ، ولكن علاقته مع المكان أيضاً ، فها هي إبنة الحداثة تقع عواطفها تحت مطرقة إنسان السايبورغ ابن الحداثة التكنولوجية، أو الحداثة الزائفة بتوصيف كيربي(رأت شواهد رخامية تتوزع بين أشجارٍ خضراء، صلباناً من رخام وخشب وذهب، أزهاراً نضرة كأنَّها سقيت للتو، وضعت السماعتين فسمعت موسيقى ناعمة تتناغم مع حركة فأرة الكومبيوتر التي يقبض عليها اسكندر ويجول بالسهم يميناً أو يساراً، عرض عليها قبوراً تفنن في تشييدها، وأقام عليها شواهد ملونة...هذا قبر جدّه سليمان، شقيقها الكبير المدفون في بغداد ، بجواره قبر زوجته وقبور جولي وكمالة وزوجها شمعون، قبر أم جرجس وحفيدتها فايزة..)[٧٨] مقبرة تحتوي أحبتها جميعهم؛ عناصر تَشَكُّل ذاتها وهويَّتها (حيث أدت تفاعلات الواقع الافتراضي إلى تفكيك العلاقات الفيزيائية بين الأفراد، لتفكك العلاقات التقليدية نهائياً ويظهر مجتمع "سيبري جديد")[٧٩]، فتضعنا كجه جي وجهاً لوجه أمام التباين بين حداثتين؛ الحداثة التي قدَّست الإنسان، والحداثة التي استبدلته تكنولوجيا؛ عبر بنية الشخصية، أي شخصيتين مختلفتين، بما ينعكس على تغاير الرؤى (تتفرج وتضطرب وترتجف بداها مع تواتر الألحان والألوان، يستدير الولد ويواجهها ويتطلَّع في عينيها ويطلب وعداً بألَّا تبكي، يوجِّه سهم الفأرة إلى قلب الصورة يرفع السماعتين عن رأسها ويقول بحرج:–هنا وضعت قبر العم جرجس، وتركت لك مكاناً بجواره ..بعد مئة سنة ان شاء الله، نقر على زاوية الشاشة فتضاعف حجم الصورة وتمكنت أن تشاهد ما هو منقوش على رخامة القبر "من آمن بي وإن مات فسيحيا" وتحت العبارة الإنجيلية قرأت:"الدكتور

جرجس منصور١٩٢٨-١٩٩٧"، ويريد منها ألا تبكي؟!غامت عيناها وخفق قلبها...)[٨٠] لقد سحرها المكان، وهامت به روحها، فالأوطان ليست أماكن العيش بقدر ما تكون أماكن الأحبة؛ حيث سكناهم وسكون أرواحهم، لذلك فإنها أخبرته أنَّ المكان "يحتاج إلى بضع نخلات" كي يكتمل المشهد داخل روحها (يعرف الملعون كيف يرمم ما مضى من عمرها ويؤاخيه مع ما تبقى، يلعب على الشاشة كي يحيل الموت طبقاً قابلاً للاشتهاء)[٨١] إذ(تقف حالة الميوعة وعملية التحوُّل المستمر للمجتمع السايبورغي، على النقيض من سياسات الحداثية وجمالياتها المائلة نحو الثبات والسكون)[٨٢] فـ"يحيل الموت طبقاً قابلاً للاشتهاء"، هكذا يتماهى الواقع بالخيال عند انسان السايبورغ، الخيال التكنولوجي الذي استعاض به عن رومانسية الحداثة، خيال ساحر لا يمكن إنكار أثره (بلعت الحبَّة ووضعت حبة غيرها تحت اللسان، استراحت من انفعالها وعادت تتفرج على المقبرة الإلكترونية وهي في ذهول، تضع كفها على الفأرة وتتعلَّم السيطرة على السهم وتتجوَّل بين الشواهد الموزعة...-عمة هل أنت راضية؟- أنا مسحورة)[٨٣] لم يقتصر السِحر على العمة ووالدة اسكندر، التي زوَّدته بشجرة أموات العائلة فحسب، ولكن أخذ تأثيره ينتشر على المهاجرين العراقيين، كيف لا! وسمات عالم السايبورغ تكسر نصل المكان في قلوبهم، تقول الراوية : (إن الدائرة تكبر وتتسع وتأتي طلبات جديدة للانضمام إلى المقبرة وتجميع عظام العائلات، سمع المهاجرون بها من الأخبار التي يتناقلونها في الكنيسة بعد القدَّاس، اعترض بعضهم وعربد واعتبرها مخالفة للإيمان)[٨٤] إلَّا أنَّ تقاليد السايبورغ التي تتخيَّل العالم دون تميّز، سواء على أساس النوع، أو العرق، أو الثقافة، تحيل إلى أنَّه ربَّما يكون عالماً دون أصل، أو نشوء، أو نهاية، بل انَّ تجسيد السايبورغ خارج تاريخ الخلاص من الخطيئة[٨٥]، لذا فإنَّه لا يرى في أفعاله ما يخالف المقدَّس، بل (وجدوا في مقبرة العراقيين الإلكترونية حلَّاً سحرياً ولطيفاً لمواجهة الشتات)[٨٦] إذ تأتي الحلول من قلب الأزمة، فأخذت المقبرة تتسع وتتسع (كانت سهيلة يونان أوَّل من اتصل بي، إنها تريد قبراً لابنها رعد بجوار قبر والده الذي استشهد في حرب الكويت، ظلَّت جثته في العراء طعاماً للصقور ثم...فقدت الزوج وكرَّست عمرها لوحيدها رعد، رعته حتى صار رجلا يرعاها، لكنهم خطفوه من شارع فلسطين واتصلوا بها من هاتفه يطلبون فدية.- بعت حالي ومالي ودفعت لهم..وما رجع رعُّودي، انتهى بطلقة رعناء...أنقل طلب سهيلة إلى اسكندر لكنَّه يتمنَّع...ولا يستطيع ان يفتح مقبرته لكل القتلى المبثوثين في البلاد...ماما قولي لمعارفك إننا لن نقبل سوى أصحاب الميتات الاستثنائية)[٨٧] ونلمح هنا ما تسميه راوية النص ووالدة "اسكندر" بـــ "الطبيعة العملية" لولدها: (يدهشني أن اتطلع الى ولد حملته في بطني ولا أعرفه بما يكفي ، تفاجئني مواقفه العملية والباردة وأجتهد لكي يكون عطوفاً وذا حنان)[٨٨] بذلك نلحظ بناء عالم الشخصية، ضمن تجارب تختبر شخصية السايبورغ كشفاً وتحليلاً ، تركيزاً على جانب تماهي الواقع مع الخيال في مجتمع السايبورغ .

الخاتمة

رصد البحث توظيف "نوع جديد" من الشخصية الاجتماعية في النص الأدبي، ظهر تزامناً مع التطور التكنولوجي الذي شهده العالم منذ العقود الأخيرة من القرن الماضي حتى اليوم؛ "إنسان السايبورغ" أو الذات المعاصرة الهجينة من الإنسان والآلة، وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج :

- أثر الخطابات بأنواعها المختلفة على صناعة الذات وتشكيلها – وفق طروحات فوكو -فكان مع تغيُّر المنظومة الفكرية التي رافقت التطوُّر التكنولوجي إنتاج ذات جديدة بوعي ونمط سلوك جديدين، أثَّرت بدورها ضمن ذلك السياق على

مفاهيم تيارات فكرية منها تيار النسوية، بوصفه النوع الذي قوَّض مفهوم الجندر استناداً إلى فكرة "جاك دريدا" عن الاختلاف .

- انعكاس ظلال هذا النوع من الشخصية على الأدب؛ الرواية تحديداً بوصفها النوع الفني الذي يلبي شغف الإنسان جمعاً بين معرفة الحقيقة ومتعة الخيال في بوتقة نقد فنية ، فانصب البحث على نصين روائيين قدَّم كل منهما هذا النوع من الشخصية بطريقة بناء مختلفة أوصلتنا إلى النتيجة الأخرى من البحث ؛
- طريقة اشتغال النص على الدور الثيمي للشخصية ، تعبيراً عن تأثُّر السلوك الاجتماعي للأفراد في الواقع بخطابات الفضاء التكنولوجي، عبر رؤية فنية نقدية قدَّمتها رواية "العلموي" عن مجتمع موازٍ لمجتمع الواقع، ونمط من الوعي الجمعي، والتواصلي .
- تفعيل الشخصية الموازية في بناء الفكرة، القائمة على الإشارة إلى القدرة على بناء العوالم البديلة لدى جيل السايبورغ من ناحية اختزال البعد الزماني والمكاني، وفق رؤى جديدة وليدة الذات الإنسانية المعاصرة .

المصادر

١. أفق يتباعد– من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة/ أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق (د.ط) ٢٠١٤.
٢. بنية السرد العربي من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير/ محمد معتصم، دار الأمان – الرباط (ط١) ٢٠١٠.
٣. تاريخ الفلسفة / فردريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة (ط١) ٢٠٠٢ .
٤. الرقيم– مجلة فصلية تعنى بالثقافة والفنون والآداب/ بيان السايبورغ والمعرفة: أماني أبو رحمة، دار الرقيم للطباعة والنشر والتوزيع–كربلاء ، العدد(٢٤) ٢٠٢٠.
٥. شخصيات النص السردي / د.سعيد بنكراد ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة (ط١) ٢٠١٦ .
٦. الفلسفة النسوية في فضح ازدراء الحق الانثوي ونقضه و"المركز الذكوري" ونقده/ مجموعة مؤلفين، إشراف وتحرير: د.علي عبود المحمداي ، منشورات الاختلاف – الجزائر (ط١) ٢٠١٣
٧. اللغة والأسطورة / آرنست كاسيرر، تر: سعيد الغانمي، مشروع كلمة هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – الإمارات العربية المتحدة (ط١) ٢٠٠٩.
٨. ما بعد الحداثة – دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب/ مجموعة مؤلفين، تر: د.حارث حسن ود.باسم علي خريسان، تقديم: د.علي عبود المحمداوي، ابن النديم للنشر والتوزيع–الجزائر (ط١) ٢٠١٨ .
٩. ماذا عن غد/ جاك دريدا– اليزابيث رودينيسكو (محاورة)، تر: سلمان حرفوش، تقديم : فيصل دراج ، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية – دمشق (ط١) ٢٠٠٨ .
١٠. مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو/ د.الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر– بيروت (ط١) ٢٠١٣
١١. معجم السرديات / مجموعة مؤلفين ، إشراف : محمد القاضي، دار الفارابي – لبنان (ط١) ٢٠١٠ .
١٢. من الحداثة إلى ما بعد النسوية / أماني أبو رحمة ، دار شهريار – العراق (ط١) ٢٠١٨ .

١٣.نهايات ما بعد الحداثة– إرهاصات عهد جديد/ أماني أبو رحمة، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد (ط١) ٢٠١٣ .

١٤.يورغن هابرماس– الأخلاق والتواصل/ أبو النور حمدي أبو النور حسن، إشراف: د.أحمد عبد الحليم عطية، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت (د.ط) ٢٠٠٩ .

الروايات

١. العلموي / مرتضى كزار، الرافدين – بيروت (ط١) ٢٠١٩
٢. طشاري / إنعام كجه جي ، دار الجديد – لبنان (ط٢) ٢٠١٤

مواقع إلكترونية

- السايبورغ : ما بعد الانسان / أماني أبو رحمة ، دراسة منشورة في ٢٩ / ٩ / ٢٠١٦ ، مجلة انتلجنسيا – موقع إلكتروني https://www.intelligentsia.tn/السايبورغ-ما-بعد-الإنسان
- الفلسفة الكلبية، دراسة منشورة في موقع معرفة :
- https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A9
- كل ما تريد معرفته عن تقنية التصوير التجسيمي.. الهولوجرام/ هاني رجب، مقال منشور في موقع "دراسات وتقارير" الإلكتروني
- https://www.arageek.com/tech/all-what-you-need-to-know-about-hologram

الهوامش

(١) أفق يتباعد– من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة/ أماني أبو رحمة ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق (د.ط) ٢٠١٤ : ٢٤٧ .

(٢) نفسه : ٢٤٧ .

(٣) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٤٧ .

(٤) نفسه : ٣٢٩ ، والفلسفة النسوية في فضح ازدراء الحق الانثوي ونقضه و"المركز الذكوري" ونقده / مجموعة مؤلفين، إشراف وتحرير: د.علي عبود المحمداي ، منشورات الاختلاف– الجزائر (ط١) ٢٠١٣ : ٣٠٧.

(٥) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٥٠ .

(٦) نفسه : ٢٥٠ .

(٧) نهايات ما بعد الحداثة– إرهاصات عهد جديد/ أماني أبو رحمة، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد (ط١) ٢٠١٣ : ١٢٧ .

٨ اللعبة الإلكترونية الأشهر في هذه المرحلة المسماة (ساحات معارك اللاعبين المجهولين PUBG) .

(٩) ما بعد الحداثة – دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب / مجموعة مؤلفين ، تر: د.حارث حسن و د.باسم علي خريسان، تقديم: د.علي عبود المحمداوي ، ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر (ط١) ٢٠١٨ : ٤٨ .

(١٠) ما بعد الحداثة – دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب / مجموعة مؤلفين : ٤٨ .

(١١) ينظر: أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٤٧ – ٢٨٤ .

(١٢) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٣٠.

(١٣) السايبورغ : ما بعد الانسان / أماني أبو رحمة ، دراسة منشورة في ٢٩ / ٩ / ٢٠١٦ ، مجلة انتلجنسيا – موقع إلكتروني https://www.intelligentsia.tn/السايبورغ-ما-بعد-الإنسان

(١٤) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٤٠ .

(١٥) ينظر : نفسه : ٣٤٠ –٣٤١ .

(١٦) ينظر: أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٤٢ .

(١٧) ينظر: الرقيم–مجلة فصلية تعنى بالثقافة والفنون والآداب/ بيان السايبورغ والمعرفة: أماني أبو رحمة ، دار الرقيم للطباعة والنشر والتوزيع–كربلاء ، العدد(٢٤) ٢٠٢٠ :١٠٤ .

(١٨) من الحداثة إلى ما بعد النسوية / أماني أبو رحمة ، دار شهريار – العراق (ط١) ٢٠١٨ : ١٧٥ .

(١٩) مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو/ د.الزواوي بغورة ، دار الطليعة للطباعة والنشر– بيروت (ط١) ٢٠١٣ : ٢٣٤ .

(٢٠) من الحداثة إلى ما بعد النسوية / أماني أبو رحمة : ١٧٥ .

(٢١) ينظر: نفسه : ١٧٥ – ١٧٦ .

(٢٢) نفسه : ١٧٦ – ١٧٧ .

(٢٣) ينظر: من الحداثة إلى ما بعد النسوية / أماني أبو رحمة : ١٧٤ .

(٢٤) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٤٢

(٢٥) ماذا عن غد / جاك دريدا – اليزابيث رودينيسكو (محاورة) ، تر: سلمان حرفوش ، تقديم : فيصل دراج ، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية – دمشق (ط١) ٢٠٠٨ : ٧٨ – ٧٩ .

(٢٦) من الحداثة إلى ما بعد النسوية / أماني أبو رحمة : ١٧٤ .

(٢٧) ينظر: أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٤٨.

(٢٨) نفسه : ٣٣١ .

(٢٩) ينظر: نفسه : ٣٤٨–٣٤٩.

(٣٠) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٣٦ .

(٣١) السايبورغ : ما بعد الإنسان / أماني أبو رحمة .

(٣٢) نفسه .

(٣٣) ينظر: اللغة والأسطورة / آرنست كاسيرر ، تر: سعيد الغانمي ، مشروع كلمة هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – الإمارات العربية المتحدة (ط١) ٢٠٠٩ : ١٠ .

(٣٤) السايبورغ : ما بعد الإنسان / أماني أبو رحمة .

(٣٥) ينظر : أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٣٦) بحث منشور للباحثة (مشترك) في مجلة آداب المستنصرية ، العدد (٦٩) لسنة ٢٠١٥ .

(٣٧) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٥٠

(٣٨) كل ما تريد معرفته عن تقنية التصوير التجسيمي.. الهولوجرام/ هاني رجب، مقال منشور في موقع (دراسات وتقارير) يعود تاريخ تقنية الهولوكرام الى عام ١٩٤٧ على يد العالم "دينيس غابور"لتحسين قوة الميكروسكوب الإلكتروني: https://www.arageek.com/tech/all-what-you-need-to-know-about-hologram

(٣٩) ينظر: نهايات ما بعد الحداثة – إرهاصات عهد جديد / أماني أبو رحمة : ١٢٥ – ١٢٦ .

(٤٠) شخصيات النص السردي / د.سعيد بنكراد ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة (ط١) ٢٠١٦ : ١١٠ .

(٤١) نهايات ما بعد الحداثة – إرهاصات عهد جديد / أماني أبو رحمة : ١٢٨ .

(٤٢) نهايات ما بعد الحداثة – إرهاصات عهد جديد / أماني أبو رحمة : ١٢٨ – ١٢٩ .

(٤٣) العلموي / مرتضى كزار ، الرافدين – بيروت (ط١) ٢٠١٩ : ١٠ .

(٤٤) نفسه : ١١ .

(٤٥) العلموي / مرتضى كزار : ٢٤٤ .

(٤٦) نفسه : ٥٥ .

* الشاعرة والإعلامية التي التقت به صدفة في خلال إعدادها تقرير صحفي عن مدَّعي العبقرية أو من يسمون بـــ"النطَّاسين"، فنشأت علاقة محبة بين النقيضين؛ عباس العلموي الكاره للأدب، و"صبرية" عاشقة الفن والأدب : (أوكد لها بأن الشعر لا يعجبني) : ٧١ .

(٤٨) العلموي / مرتضى كزار : ٣٤ .

(٤٩) يورغن هابرماس– الأخلاق والتواصل/ أبو النور حمدي أبو النور حسن، إشراف : د.أحمد عبد الحليم عطية، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت (د.ط) ٢٠٠٩ : ١٣٥ .

(٥٠) ينظر: الفلسفة والنسوية / مجموعة مؤلفين ، مونيك كانتو سبيربير – نحو تجديد السؤال الأخلاقي أو قراءة في كتاب : مونيك كانتو سبيربير، روفين اديجان : الفلسفة الأخلاقية / سمير بلكفيف : ٥٣٨ و ٥٤٠ .

(٥١) نفسه : ٥٣٩ .

(٥٢) العلموي / مرتضى كزار : ٤٩ – ٥٠ .

(٥٣) الفلسفة والنسوية / مجموعة مؤلفين : ٥٣٩ .

(٥٤) العلموي / مرتضى كزار : ٥٩ .

* منها ظهور أشخاص في حياته واختفاؤهم فجأة دون معرفة دوافعهم أو هوياتهم مثل شخصية الشاب "صاحب تيشيرت فالنسيا"، حالة تشبه هلوسات العقل الواعي وهي في الحقيقة تداعيات نفسية عن أحداث فعلية مرَّ بها.

(٥٦) معجم السرديات / مجموعة مؤلفين، إشراف: محمد القاضي، دار الفارابي – لبنان (ط١) ٢٠١٠: ٣٠٠.

(٥٧) العلموي / مرتضى كزار : ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٥٨) نفسه : ٢٣٤ .

(٥٩) العلموي / مرتضى كزار : ٢٤٩ .

(٦٠) نهايات ما بعد الحداثة – إرهاصات عهد جديد / أماني أبو رحمة : ١٣٢ .

* نسبةً إلى الفلسفة الكلبية Cynicism مذهب فلسفي يعود للقرن الرابع ق.م ، أسسه الفيلسوف أنتيسيثينيز أحد تلامذة سقراط الذي يرى أن الهدف الأساسي في الحياة هو الفضيلة وليس المتعة ، وكان ديوجين من المتشددين لهذا المذهب إلى حد التطرُّف ، واسم الكلبية مستمد من اسم المبنى الذي التقى فيه الكلبيون لأول مرة ، أو إشارة إلى سلوكهم الفظ ونباحهم بوجه المجتمع الفاسد لتقويمه، وتشكيكهم بوجود الخير والفضيلة إلى درجة التشاؤم واليأس بعد أن شهد المفهوم تحولات حتى تغير في القرن التاسع عشر ليعني سلبية شديدة وارتياب عام في دوافع الآخرين واخلاقياتهم ، وأحباط ، وخيبة أمل. مراجعة : تاريخ الفلسفة / فردريك كوبلستون ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة (ط١) ٢٠٠٢ : ٥٨١ ، والفلسفة الكلبية ، دراسة منشورة في موقع معرفة :

https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A9

(٦٢) العلموي / مرتضى كزار : ٢٥٣ .

(٦٣) نفسه : ٢٤٩ .

(٦٤) العلموي / مرتضى كزار : ٢٥٠ .

(٦٥) طشاري / إنعام كجه جي ، دار الجديد – لبنان (ط٢) ٢٠١٤ :٤٢ .

(٦٦) نفسه : ٤٣ – ٤٤ .

(٦٧) ينظر: بنية السرد العربي من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير/ محمد معتصم ، دار الأمان– الرباط (ط١) ٢٠١٠ : ٢٧ – ٢٨ .

(٦٨) طشاري / إنعام كجه جي : ٤٦ .

(٦٩) ينظر: نهايات ما بعد الحداثة – إرهاصات عهد جديد / أماني أبو رحمة : ١٣٠ .

(٧٠) نفسه : ١٣٠ .

(٧١) نفسه : ١٣٢ .

(٧٢) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٣٥ .

(٧٣) طشاري / إنعام كجه جي : ٨٩ – ٩٠ .

(٧٤) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٥٣ .

(٧٥) نهايات ما بعد الحداثة – إرهاصات عهد جديد / أماني أبو رحمة : ١٣٠ .

(٧٦) نفسه : ١٣٠ .

(٧٧) طشاري / إنعام كجه جي : ١٠٨ .

(٧٨) نفسه : ١٠٩ .

(٧٩) أفق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٥٤ .

(٨٠) طشاري / إنعام كجه جي : ١٠٩ .

(٨١) نفسه : ١١١ .

(٨٢) افق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٢٤٩ .

(٨٣) طشاري / إنعام كجه جي : ١١١ .

(٨٤) نفسه : ١٥٩ .

(٨٥) ينظر: افق يتباعد – من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة / أماني أبو رحمة : ٣٣١ .

(٨٦) طشاري / إنعام كجه جي : ١٥٩ .

(٨٧) نفسه : ١٥٩ – ١٦٠ .

(٨٨) طشاري / إنعام كجه جي : ١٦٠ .

References

1- A horizon diverging - from modernity to post-modernism / Amani Abu Rahma, Nineveh House for Studies, Publishing and Distribution - Damascus (dt) 2014.

2. Al-Raqeem - a quarterly magazine on culture, arts and literature / Cyborg Bayan and Knowledge: Amani Abu Rahma, Dar Al-Raqeem for Printing, Publishing and Distribution - Karbala, Issue (24) 2020.

3. Feminist Philosophy in Exposing the Contempt and Refutation of the Female Right and the "Male Center" and its Criticism / A group of authors, supervised and edited by: Dr. Ali Abboud Al-Muhammadai, Al-Ikhtilaf Publications - Algeria (1st Edition) 2013

4. Language and Legend / Ernst Cassirer, TR: Saeed Al-Ghanmi, The Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage Word Project - United Arab Emirates (1st Edition) 2009.

5. The Structure of the Arab Narration from Questioning Reality to the Question of Fate / Muhammad Mu'tasim, Dar Al Aman - Rabat (1st Edition) 2010.. History of 6- Philosophy / Frederick Cobblestone, TR: Imam Abdel Fattah Imam, Supreme Council of Culture - Cairo (1st Edition) 2002.

7. The characters of the narrative text / Dr. Said Pinkrad, Vision for Publishing and Distribution - Cairo (1st Edition) 2016.

8. Postmodernity - Studies on Social and Cultural Transformations in the West / A Group of Authors, Tr: Dr. Harith Hassan and Dr. Basem Ali Khreisan, presented by: Dr. Ali Abboud Al-Muhammadawi, Ibn Nadim for Publishing and Distribution - Algeria (1st Edition) 2018.

9. What about Tomorrow / Jacques Derrida-Elizabeth Rodinescu (Conversation), Tr: Salman Harfoush, Presented by: Faisal Darraj, Dar Kanaan for Studies, Publishing and Media Services - Damascus (1st Edition) 2008.

10. An Introduction to the Philosophy of Michel Foucault / Dr. Al-Zawawi Bghoura, Dar Al-Taleea Printing and Publishing - Beirut (1st Edition) 2013

11. Dictionary of Narratives / a group of authors, supervised by: Muhammad Al-Qadi, Dar Al-Farabi - Lebanon (1st Edition) 2010. ١٢. From Modernity to Post- 12- Feminism / Amani Abu Rahma, Shahryar House - Iraq (1st Edition) 2018.

13. The Ends of Postmodernism - The harbingers of a new era / Amani Abu Rahma, Adnan House and Library for Printing, Publishing and Distribution - Baghdad (1st Edition) 2013.

14. Jürgen Habermas - Ethics and Communication / Abu al-Nur Hamdi Abu al-Nur Hasan, supervised by: Dr. Ahmed Abdel Halim Attia, Dar al-Tanweer for Printing and Publishing - Beirut (dt) 2009.

Novels

1. Al-Alamawi / Mortada Kazar, Rafidain - Beirut (1st Edition) 2019

2. Tashari / Inaam Kajji, Dar Al Jadid - Lebanon (2nd Edition) 2014